**الجمهوريــة اليمنيـة**

** جامعـة صنعاء**

**كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

**قسم الفلسفة**

الأيـديولوجيــا

إشكالية الفكر العربي المعاصر

**بحث مقدم لاستكمال نيل درجة الماجستير في الفلسفة**

**فائدة محمد عبدالله الحاج طالب**

**المشرف الرئيسي/ المشرف المشارك/**

**د/ جميل عون د/ أحمد الصعدي**

**2011م**

**المقدمة:**

يتناول هذا البحث مفهوماً محورياً وأساسياً في الفلسفة, هو الأيديولوجيا التي تُعد إحدى القضايا الأساسية في الفكر الإنساني عامة, ومن ضمنه الفلسفة. فالأيديولوجيا ليست هي جذر من جذور الفلسفة واهتماماتها فحسب, بل إهتم بها العديد من الفلاسفة والمفكرين منذ نهاية القرن الثامن عشر, ذلك هو مفهوم "الأيديولوجيا" الذي جاء مطلباً أساسياً, وغاية ملحة, شأنه في ذلك شأن بقية المشكلات الفلسفية الأخرى؛ وقد تعرض إلى تعاريف عدة, ولم يستقر على تعريف واحد يضمن له معنى محدد, نظراً إلى معناه الموسع الذي يشتمل على معظم التيارات الفكرية الإنسانية المختلفة "الفلسفية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية .." وقد وردت إحدى تعريفات الأيديولوجيا في قاموس علم الإجتماع أنها نظام الأفكار المتداخلة من معتقدات أو أساطير التي تؤمن بها جماعة معينة, وبالتالي تعكس مصالحها واهتماماتها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية...الخ،([[1]](#footnote-1)) لكن الحاجة تستدعي القيام بتجاوز كل الاتجاهات المختلفة والمتضاربة حول هذا المفهوم, وتعمل على استيعاب العلاقة القائمة بين الفلسفة والأيديولوجيا, حيث تلعب الفلسفة "بصورة أو بأخرى دوراً أيديولوجياً, وتتخذ موقفاً من التصورات الفلسفية التي تقوم عليها الأيديولوجيات المتصارعة"([[2]](#footnote-2)).

هذه التعريفات تشير إلى المعنى الواسع لطبيعة المشكلة؛و إلى ازدواجية المفهوم. لذلك تظل الأيديولوجيا موضع جدل, بسبب الاختلاف الدائم حول مفهومها الشامل, الذي جعلها تشتمل على كل النتاجات الثقافية في المجتمع, وبالتالي فإنها تعد من الموضوعات الشائكة التي لا تزال موضع التباس وغموض, والتي يصعب بلورتها,أو تجاوزها, خاصة في مثل هذه المرحلة من التاريخ المعاصر, التي أصبحت العولمة فيها هي المحرك والمحدد الأساسي للعالم. لذلك تعترض الباحثة في هذه الدراسة إحدى الصعوبات,التي تتمثل في الالتباس والخلط وعدم التحديد لمفهوم الأيديولوجيا, فالخلط في المفهوم يؤدي إلى الضبابية وعدم الوضوح في بيان طبيعة التيارات الفكرية المعاصرة , سواءً القومية أو الإسلامية أو الماركسية..الخ كذلك تعترض الباحثة صعوبة تقديم صورة واضحة عن هذا الصراع الأيديولوجي على نحو مختلف في طبيعة وحيثيات إشتغاله وغاياته لأن موضوع كهذا يصعب الإمساك بناصيته. إن عملية التمسك بأهداب الماضي, أو الدفاع عن الحاضر, على حساب المستقبل تعد عملاً أيديولوجياً فـي معظمه, وعند هذه النقطة بالذات تتحدد الأيديولوجية. فالأيديولوجيا هي الدفاع عن المصالح, وهذا التعريف يتناقض مع الاتجاه الذي يدعو إلى نهاية الأيديولوجيا أو موتها, لأن موت الأيديولوجيا, يعني موت المصلحة, والمصلحة لا تموت, مما يستدعي القول أنها طريقة أيديولوجية أخرى لمصارعة الخصوم, وتتحدد مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

هل ما يثار حول موضوع الأيديولوجيا من تغيرات متباينة,يرجع إلى كونه موضوع جديد أفرزته المستجدات الراهنة, أم أنه موضوع قديم ترتب عن نزعات التسلط والاستعمار في الداخل والخارج؟

ما هي المنطلقات والمناهج التي ينطلق منها الفكر العربي؟ وما هي علاقة هذا الفكر بالواقع؟ هل الأيديولوجيا هي إشكالية الفكر العربي المعاصر, المعيقة لنمو وتطور المعرفة العلمية, أم أنها تواكب أي تطور في إنتاج المعرفة وصناعة الحلول المناسبة لها؟ هل تستطيع التيارات العربية المعاصرة من إسلامية وقومية وليبرالية واشتراكية الخروج من سجنها الأيديولوجي والولوج إلى أفاق المعرفة العقلية العلمية؟.

إن ما دفع الباحثة لاختيار هذا الموضوع هو: الواقع العربي المعاصر, الذي يتسم بالضعف والتردي وبالفوضى وعدم الاستقرار, والهشاشة في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية..مما أثار التساؤل حول أسباب هذه الظواهر في هذا الواقع, وما هي أفضل الطرق لمعالجتها والخروج من هذه الأوضاع المتردية.

كما نلاحظ في الوقت ذاته دور الأيديولوجيا في عملية الصراع السياسي والديني والإقتصادي برز بشكل يثير التساؤل عن العوامل المؤدية إلى ذلك, ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا الاهتمام بالموضوعات الفكرية والسياسية المتصلة بالتراث والمعاصرة, أو المتعلقة بالقومية والليبرالية والإسلامية والإشتراكية فالواقع العربي هو ما دفعني إلى التساؤل عن سبب الأزمة الفكرية منذ ستينيات القرن الماضي حتى الوقت الراهن, التي لم تصيب مركزاً واحداً, وإنما أصابت كل الأمة بكافة تياراتها, من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار إن الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر لا تزال قضية حيوية لما يثار حولها من جدل سواء من حيث المفهوم أو النشأة أو ابعادها المختلفة ,وهي بحاجة إلى المزيد من الدراسة , وقد حاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة أن تضيف – قدر المستطاع – مساهمة معرفية إلى الفكر العربي المعاصر ,تضاف إلى المساهمات السابقة[[3]](#footnote-3)(\*) لذلك تحاول الباحثة في هذه الدراسة فهم وتوضيح الجدل الأيديولوجي القائم في الفكر العربي المعاصر, و يجب تفسير الدلالة الفكرية الفلسفية لفهم هذا الجدل, لغرض تقديم صورة موضوعية واضحة , وطرح أسس معرفية لخصوصية الإنسان في اتجاهاته.

إن المنهج المتبع في هذا البحث يأتي متلائماً مع طبيعة الأهداف السابقة, لذا فإن الباحثة استخدمت المنهج الوصفي لعرض المشكلة, والمنهج التحليلي التاريخي, لتحليل المفهوم وتوضيحه وربطه بسياقه التاريخي, وللإجابة على مشكلة البحث وتساؤلاته وتطبيق منهجه, قسمت الباحثة موضوع البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية, مع مقدمة وخاتمة.

يتعلق الفصل الأول بـ" مفهوم الأيديولوجيا نشؤه وتطوره" ويشتمل على مبحثين رئيسيين, يتناول المبحث الأول نشؤ وتطور مفهوم الأيديولوجيا في الفكر الغربي, يتناول المبحث الثاني, مفهوم الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر, ويختص الفصل الثاني "بالأيديولوجيا والسياسة", ويشتمل على مبحثين رئيسيين, يتناول المبحث الأول:الأيديولوجيا وأزمة السلطة, ويتعلق المبحث الثاني, بالأيديولوجيا وعلاقتها بالواقع, أما الفصل الثالث فقدخصص لتناول "أيديولوجية الخطاب العربي المعاصر" ويتضمن أربعة محاور أساسية, خصص الأول "للأيديولوجيا القومية" والثاني "للأيديولوجيا الدينية"و الثالث "للأيديولوجيا الليبرالية" والرابع "للأيديولوجيا الإشتراكية", وانتهى البحث بخاتمة لخصت فيها الباحثة أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وأخيراً لا تنسى الباحثة أن تتقدم بجزيل الشكر والإمتنان لكل من ساعدها خلال فترة عملها وذلل لها الصعوبات, وعلى رأسهم د/ جميل عون المشرف الرئيس, و د/ أحمد الصعدي المشرف المشارك, و د/ علي الصباحي , و د/ عبد الرب حيدر وكذلك د/ علي باعلوي الذي أمدني بالعديد من الكتب والدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث.

وكذلك أشكر كل من ساندي ومد لي يد العون وهم جميع أفراد عائلتي وأخص بالذكر أمي وأخي وصديقي ورفيق دربي عبد الواسع الأصبحي.

**الخاتمة:**

ليس موضوع الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر, الذي اخترته عنواناً لهذه الدراسة, مجرد حديث نظري, أو فضول معرفي بعيد عن الواقع المعاش, بل هو اختيار لتساؤل يبعث القلق حول مصير الفكر العربي المعاصر. لذلك طرحت الباحثة في مقدمة هذا البحث الأسئلة التي حاولت -بقدر المستطاع- الإجابة عليها, من خلال تقسيم البحث الذي انتهى إلى هذه الخاتمة.

إنَّ مما لا شك فيه, أن الأيديولوجيا ليست ظاهرة مستحدثة, وقد إرتبطت بالحاجة الإعتقادية, على مدار التاريخ البشري, وهذا التاريخ مليء بالصراع الأيديولوجي بين جميع فئاته الإجتماعية. إلا أن هذا المفهوم تحدد في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر؛ وإرتبط بصفة مباشرة في النظرية الماركسية. وهي النظرية التي ركزت كلياً على الصراع السياسي الإقتصادي ونظرت إلى الأيديولوجيا على أنها تزيّف للوعي, وبالتالي ربطت الأيديولوجيا بالصراع الطبقي, وعلى هذا الأساس كانت الإنطلاقة التاريخية لتسمية الأيديولوجيا, من أرضية الصراع السياسي.

إن الأيديولوجيا هي بالفعل إشكالية الفكر الإنساني عامة, ومن ضمنه الفكر العربي فالأيديولوجيا تُعد أحياناً ضرورة ونحن بحاجة إليها, وذلك عندما تُستخدم كأداة من أدوات تغيير الواقع, من أجل النهوض به وتقدمه. كما تُعد أحياناً أخرى –وهي الأغلب- عائقاً من عوائق التقدم عندما تُستخدم كمنظومة من الأفكار العقائدية الدوجماتية, والبُنى التقليدية, العادات والتقاليد, التي لم تواكب عملية التطور القائم, فتُعيق عملية التقدم.

بناءً على ما سبق, يمكن القول: أن الأيديولوجيا هي فن الدفاع عن المصلحة, وبالتالي يبقى الحديث حول مقولة (نهاية الأيديولوجيا ) طرح غير صحيح, لأنه بُني على مغالطة في فهم وظيفة الأيديولوجيا.

أما فيما يتعلق بخلاصة ما توصلت إليه الباحثة, حول الأيديولوجيا والسياسة:-

إن الأيديولوجيا تسعى إلى إكتساب معنى خاص لها في السياسة, من الناحية العملية والنظرية, حيث أن مجال السياسة كل شيء فيه في حالة صيرورة مستمرة, بما فيه الكائن الإجتماعي ذاته, الذي يعمل على إعادة تشكيل لعملية الصيرورة, فالعلاقة التي تربط هذا المفهوم بالسياسة, هي علاقة بنيوية وظيفية, فكل أيديولوجيا تحتوي على مضمون سياسي, سواءً أعلنت ذلك أم لم تعلن, وتكون غايتها في الواقع, هي العمل بهدف الوصول إلى السلطة, وإكتسابها المشروعية, للحفاظ على بقائها وإستمراريتها. ووفقاً لذلك تكون الأيديولوجيا ركناً في بناء وتكوين الدولة.

لقد حاولت في الفصل الثالث أن أعرض أيديولوجية الخطاب العربي المعاصر([[4]](#footnote-4)) من خلال التيارات العربية القومية, والدينية, والليبرالية, والإشتراكية بهدف ما إذا كانت هذه التيارات قادرة على الخروج من سجنها الأيديولوجي, والولوج إلى آفاق المعرفة.

إتضح أن هذا الصراع الأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر, لم يتوقف منذ منتصف القرن العشرين وحتى الوقت الراهن, لقد استهلك هذا الصراع كافة أشكال الأيديولوجيا, التي مارست كل وظائفها, فطغى هذا الجانب الأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر على الجانب الإبستمولوجي حتى ظل الواقع العربي وتاريخه المعاصر, تاريخ انتكاسات في مختلف النواحي. لذلك أصبحت الثقافة العربية الراهنة, هي أيديولوجية أكثر مما هي معرفية, وأن الأدبيات الأيديولوجيا المسيسة أو ذات الطابع الصحفي السريع تكاد تضغط كلياً على الأدبيات العلمية والمعرفية([[5]](#footnote-5)).

لقد كانت المعادلة صعبة بين الأيديولوجيا والمعرفة, في الخطاب العربي المعاصر, فكانت الأيديولوجيا توظف في الخطاب العربي على حساب المعرفة, سواءً كانت ماركسية أو قومية أو إسلامية.فالصراع الأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر, لم يتطور بحسب متطلبات الواقع وحاجاته, ولم يواكبه في إنتاج المعرفة, وخلق الحلول المناسبة, في حين كان العالم, ولا يزال يواصل مسيرة تقدمه, ويتغير بإتجاه أكثر إختزالية من الناحية الأيديولوجيا, فأصبحت الأيديولوجيا اليوم, أكثر مكراً في عالم يتعولم بصورة مذهلة جداً.

بناءً عليه, كانت معظم مؤشرات الواقع تدل على إخفاق كبير في الفكر العربي, في تحقيق مشروعه الحضاري, أي إنجاز نهضته وتحقيق حلمة التاريخي.

**لاحظت الباحثة من خلال هذه الدراسة:**

أن من أهم الأسباب المباشرة في إخفاق الفكر العربي المعاصر, في مشروعة الحضاري التي تبنته قوى التغيير في البلدان العربية, سواءً كانت قومية أودينية أو إشتراكية...الخ- إستبداد الأنظمة العربية, وغياب الديمقراطية بإعتبارها "قيمة كونيةتشتمل مبادؤها في الفصل بين السلطات الثلاث, وفي احترام الحريات الفردية والعامة, وفي الانتخابات الدورية الحرة, وفي التداول السلمي للسلطة"([[6]](#footnote-6)).يضاف إلى ذلك عدم تخلص هذا الفكر من الإزدواجية بين التراث والحداثة, أو الأصالة والمعاصرة, فهذه القضية ظلت مستمرة في الفكر العربي المعاصر منذ ظهوره الأول, ولم يخرج من حلبة هذا الصراع الأيديولوجي, ذات البعد والطابع التجريدي, الذي أدى إلى انشقاق الوعي العربي, يمينه ويساره, ولم يطرح رؤية أو آلية علمية, تعمل على خروجه من هذه الدائرة المغلقة إلى واقع آخر, يحمل في طياته فلسفة أو نظرية التغيير على المستوى الداخلي والخارجي.

إن معظم التيارات الأيديولوجيا القومية والدينية والليبرالية والإشتراكية العربية, شكلت جزء أساسي من إشكالية الأيديولوجيا العربية في الفكر العربي المعاصر, التي لم تكتمل ملامحها وأنساقها المعرفية.

إن هذه التيارات بمختلف توجهاتها الأيديولوجية, لم تستطع أن تمثل واقعاً تاريخياً , له سياقه النظري المسند إلى قاعدة إقتصادية وإجتماعية وسياسية وثقافية واضحة. بمعنى آخر, أنها لم تسهم في تحويل الوعي إلى واقع ملموس, أو رفع هذا الواقع الفكري من المستوى الطوباوي إلى حيز الممارسة الفعلية, فظلت محل الإطار الفكري المجرد, وغرقت في تعاليها ومثاليتها في تغييب دور العامل المادي في تحليل الواقع العربي المعاصر. بعبارة أخرى, إنها لم تموضع أفكارها, بغض النظر عما رفعت هذه التيارات من شعارات أو أفكار, سواءً كانت إشتراكية أو قومية, أو إسلامية. فالأيديولوجيا القومية لم تعترف بالصراع الطبقي, الذي يعتبر أساس الأيديولوجيا الإشتراكية, أو الماركسية, أيديولوجية الطبقة العاملة, كما أن الأيديولوجية القومية العربية تجاهلت مبدأ أساسي من مبادئ الدولة القومية, وهو مبدأ العلمانية- كما تؤكد ذلك أغلب الدراسات – وبهذا تكون قد تجاهلت الثورة الديمقراطية, وتفكيرها في الآن ذاته. ما يعني قصورها الذاتي في الوعي القومي, الذي يؤدي حتماً إلى عرقلة النهضة أو التنمية العربية.

فالعلمانية تسعى لتنظيم الإجتماع, فيحل فيها مفهوم الفرد المواطن, محل مفهوم الرعية, وإحلال الشعب محل"الحق الإلهي" في مصدر السلطة, وضمان الإرادة وحرية المعتقد, وحرية التفكير في كل القضايا. وبهذا الطرح تُعد العلمانية والديمقراطية هما مرتكزات الحداثة. التي غابت وللأسف عن كل التيارات العربية في الفكر العربي المعاصر. كذلك تلتقي هذه الأيديولوجيا مع الأيديولوجيا الدينية في الماضوية, واللاتاريخية المعتقدية, بالإضافة إلى إدانتهما المشتركة للأيديولوجيا الليبرالية والماركسية. وتلتقي مع الأيديولوجيا الماركسية في ثنائية التقدمية والرجعية أيضاً تلتقي كل الأيديولوجيات العربية في رصدهما المشترك, للإستعمار ومواجهة الصراع العربي الإسرائيلي, والصهيونية العالمية. حيث كان ولا يزال هذا الخطر هو أحد الأسباب المباشرة في ظهور هذه الأيديولوجيا في البلدان العربية، وقد لعب دوراً في تغذية النزعات الطائفية والعرقية والمذهبية, وحتى ظهور ما سمي "بالإرهاب", كما كان سبباً في خدمة البرجوازيات العربية والحكام العرب, بصرف نظر شعوبها عن ممارستها, وحقيقة, سياساتها في الداخل والخارج,بتوجه النظر وصرفه إلى العدو الخارجي, وكانت المحصلة الأغلب هي إجهاض الصراعات الإجتماعية, والطبقية في الداخل , وإخفاق قوى التغيير الراديكالي .

إن ما تقتضيه الحاجة اليوم وتلح عليه في الفكر العربي المعاصر هو النقد الذاتي الذي يأتي بنتيجة مفادها مواجه القضايا والإشكالات على حد سواء, والخروج من إشكالية التراث والحداثة أو الأصالة والعولمة وغيرها من المسميات التي لا تندرج تحتها سوى أمال الامتلاك للأساس الإيديولوجي, فمن وعي الذات أي فهم القاعدة الروحية والعقلية التي ينطلق منها الوعي العربي الراهن ويتأسس عليها, بما فيها من وعي نظري وفلسفي ومن وعي فردي وشعبي, فهذا الوعي الذاتي هو بداية كل وعي ومبدأ كل ممارسة. إن حضور الوعي والعقلانية إلى الساحة العربية هو الذي يمنع تحول أي صراع اجتماعي إلى حروب ساخنة أو باردة, ويمنع تجدد مطالبها بينما يحصل العكس تماما إذا غاب هذا الوعي.لأن العنف "التعسف أو القهر" في طبيعته هو بمثابة انفجار للعوامل اللاعقلانية التي ما فتئت تقذف بالإنسان في دروب التعصب والأنانية العمياء ومنزلقاتها, إنه ينبغي أن نبذل قصارى جهدنا من أجل ترسيخ القيم العقلانية. فكل مشروع اجتماعي يسعى إلى التغيير والتقدم والى العقلنة والتحديث لابد له أن يجعل من بين أهدافه تنمية المعرفة وان يتعامل معها كبعد سياسي لتنمية المجتمع وتحديثه اجتماعياً, وسياسياً, واقتصادياً, ولكون المعرفة تشكل بعداً أساسياً من أبعاد التنمية البشرية.

الفهــرس

|  |  |
| --- | --- |
| المقدمـــة ...................................................................................................... | 4 |
| الفصل الأول: مفهوم الأيديولوجيا نشؤه وتطوره ................................................. | 8 |
| المبحث الأول: نشؤ وتطور مفهوم الأيديلوجيا في الفكر الغربي .............................. | 9 |
| المبحث الثاني: مفهوم الأيديولوجيا في الفكر العربي ........................................ | 21 |
| الفصل الثاني: الأيديولوجيا والواقع.................................................................. | 27 |
| المبحث الأول: الأيديولوجيا والسياسة................................................................... | 28 |
| المبحث الثاني: الأيديولوجيا وأزمة السلطة.......................................................... | 40 |
| الفصل الثالث: أيديولوجية الخطاب العربي المعاصر............................................ | 45 |
| المبحث الأول: الأيديولوجية القومية .................................................................... | 48 |
| المبحث الثاني: الأيديولوجية الدينية .................................................................. | 70 |
| المبحث الثالث: الأيديولوجية الليبرالية................................................................. | 83 |
| المبحث الرابع: الأيديولوجية الماركسية ............................................................... | 96 |
| الخاتمة .................................................................................................................. | 109 |
| المصادر والمراجع.................................................................................................. | 113 |

1. **- تقديم :محمد، عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع, , الهيئة العامة للكتاب, القاهرة, 1979م, ص234.** [↑](#footnote-ref-1)
2. **- نصار, ناصيف, الفلسفة في معركة الأيديولوجيا, دار الطليعة, بيروت, ط2, 1986م, ص8.** [↑](#footnote-ref-2)
3. \* لقد ساهم الكثير من الباحثين في دراسة هذه المشكلة منهم نديم البيطار ( الأيديولوجيا الانقلابية ) 1964م , عبدالله العروي ( الأيديولوجيا العربية المعاصرة ) 1967م ( مفهوم الأيديولوجيا ) , وكذلك ناصيف نصار ( الفلسفة في معركة الأيديولوجيا ) , محمد سبيلا ( الأيديولوجيا نحو نظرة تكاملية ) وهناك الكثير ممن كتب حول هذه المشكلة خصوصا منذ منتصف القرن العشرين وحتى الوقت الراهن . [↑](#footnote-ref-3)
4. **تناولت الأيديولوجية القومية"الحركة الناصرية نموذجاً" والأيديولوجيا الدينية "حركة الإخوان المسلمين نموذجاً" أما الأيديولوجيا الليبرالية فلم أحدد نموذجاً بحد ذاته, بسبب عدم تواجد ذلك بشكل واضح في البلدان العربية, وبالأخص في الفترة الزمنية التي حددتها هذه الدراسة, وقد كانت هذه الدراسة مقتصرة على هذه التيارات المذكورة كما جاءت في الخطة لكن من أجل الإلمام بالموضوع, وإيضاح الصورة أكثر, أضفت الأيديولوجيا الاشتراكية, بشكل مختصر, وتناولت في هذا الجانب بعض الكتابات لشخصيات إشتراكية, وليس حصراً بهم كتيار إشتراكي عربي, لأن هناك الكثير ممن كتب في هذاالجانب.** [↑](#footnote-ref-4)
5. **أركون, محمد, مرجع سابق, ص80.** [↑](#footnote-ref-5)
6. **مروة, كريم , وغليون, برهان, وآخرون, أزمة النظام العربي واشكالية النهضة, دار الإنتشار العربي, بيروت, ط1, 2007م,**

   **ص87.** [↑](#footnote-ref-6)